

مكتبة مصر
تقدم
مجموعة محمد وسعيد

ياكروا الغدو

إعداد : أمير سعيد السحار



رسوم
عبد الرحمن بكر

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع فاسل مدني بالقاهرة

كان أحد الصَّحابة يبالغُ في راحةِ بدنه ، ويخلدُ إلى الهدوءِ والدَّعةِ أكثرَ مما يلزمُ ، ويعتقدُ أنَّ هذا لا حرجَ فيه ، ولا مؤاخذهَ عليه . فكان هذا مدعاةً إلى توانيهِ في سبيلِ تحصيلِ القوتِ ، والجهادِ في ميدانِ الحياةِ والعيشِ . ولم يكنْ كماخوانه نشيطاً جاداً في الحياةِ ، لا يدغُ سبيلاً إلا يطرقه ويسيرُ فيه ، وكان يدافعُ عن وجهَةِ نظره هذه بأنَّ جسمَ الإنسانِ حقاً عليه ، وهذا الحقُّ إراحته ، وعدمُ إجهاده وإتعبه .. !

وكان لهذا أثرٌ سيِّئٌ في حياته ، التي تدهورتُ بسببِ الكسلِ ، وعدمِ الإرادةِ الحازمةِ ، والنشاطِ الغامرِ ، فبانَ هذه الحياةُ ترفضُ كلَّ من لم يجد ، ولا تعطيه شيئاً مما يريد ، ما لم يقاتلُ في هذه السَّيْلِ ويجاهدُ جهادَ الأبطالِ ..

وهذه سنةُ الله في الكونِ ، لم يختص بها الإنسانُ دون غيره من الأحياء ، وإنما شملت الحيوانَ والطيرَ ، وكلَّ ما يجري من عروقه دم ، أو يبيضُ له قلب ..





بيد أن هذا الصحابي الجليل ، كان يشاهد زملاءه في فورة من الجد وثورة من العمل ، يجتدون ، ويعملون ، وهم فرحون بهذا العمل ، لا يتضجرون ولا يملون ، وكأنما وراء هذا الأجر والثواب الجزيل ، إذن ، فهو في ناحية وهم في ناحية ، وهو في طريق وهم في طريق ، ترى أي الطريقين خير ؟ وأي الناحيتين أصح ؟

وابتداً يلاحظ ويقارن ، ويفهم في الحادثات ما لم يكن يفهم ، فمن الخطأ أن يظل بعيداً عن طريق الجادة ، لمجرد رأي يراه ، لا يراه غيره ..

وسرعان ما تكشف له الحقيقة ، وابتداً يفهم الموقف على حقيقته تمام الفهم ، وأنه كان مخطئاً حينما كان يعطي جسمه من الراحة والهدوء أكثر مما يتطلب ، فيخلد إلى الكسل ، ولا يبادر إلى فعل الخير والصالح ، والتقدم إلى ميدان الحياة في عزم وقوة ونشاط ، وأن الدنيا حينما حرمتها لذاعة العيش فلأنها لا تعطي سوى الجاهد ، ولا تهب لغير الشجاع الجسور ..

وإن من قوة الإرادة ، أن تصدق رغبتك في العمل مع
التصميم على التنفيذ ، فلا تتوانى ولا تتخاذل ، فتجد العمل
سهلاً هيناً ، لا يكاد يجهد منك جهداً يُذَل فيه ، أو عُسراً يُنفق
في سبيله ، وخير وقت لذلك هو المبادرة بتنفيذ الرأي إذا بدا
سداؤه ، بلا عجلة أو تهوّر ، وإنما بفكر ونظر إلى عاقبته ،
لئلا يورثك الندم حين لا يفيدك .

ووجد في رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً في
النشاط والحركة والسعي إلى خير العمل ، مثلاً عالياً دونه أي
مثل ، فلم يرفع وهو النبي العظيم عن عمل ينال به رزقه ،
ولا ترك فرصة تمر دون أن ينتهزها في سبيل صلاح المسلمين
وخيرهم ، ولم يزل هذا دأبه وسجيته ، حتى فتح الله سبحانه
وتعالى على أيديهم البلاد ومكن للمسلمين في الأرض ،
وأصبحوا أعزّة بعد أن كانوا أذلة .. وهذا هو حقيقة التوكل
على الله سبحانه ، وليس معناه التواكل والكسل ، والخلود
إلى الراحة التي لا نهاية لها ، والهدوء الذي هو أشبه بالموت





منه بالحياة ..

ووقع من نفسه قوله عليه الصلاة والسلام : « إذا صَلَّيْتُمْ
الْفَجْرَ فَلَا تَنَامُوا عَنْ طَلَبِ أَرْزَاقِكُمْ » - موقعاً عظيماً . وأخذ
يفكرُ في لفظِ الفجر ، ومعناه ، وما يحملُ من البُكورِ
والنشاط ، وكأنما صلواتُ الله وسلامه عليه ، يريدُ أن يجعلَ
المسلمَ أوَّلَ من يؤذنُ الكونَ بالحياة والنشاط ، وأنَّ نوره
ينبجُ مع نورِ الفجر ، فيشرقُ على الوجودِ ضياءً ، وإيماناً
وبهجة ، وثقةً بالله الذي خلقه وسوَّاه ، فيقبلُ على
السُّبُلِ التي جعلها موطناً للكسب ، ومنبعاً للخير ، ومكاناً
للبركات ..

ولا يليقُ بالمسلم أن يخلدَ إلى النومِ بعد ما تقربَ إلى الله
بالصلاة وأقبل عليه يُناجيه ، ويطلبُ منه الهدايةَ إلى الصُّراطِ
المستقيم ، لا يليقُ به بعد ما شرح الله صدره لهذه المناجاةِ
السَّامية ، والوقوفِ بين يديه ، وإنزالِ الرَّحْمَاتِ عليه ،
والتَّجَلِّيَّاتِ التي تحطِّمُ الحُجُبَ ، وتقربُ بينَ العبدِ وبينَ ربه ،
حتى يصبحَ بعدَ حينٍ إذا سارَ في هذا الطريقِ عبداً ربانياً يقولُ

للشيء كن فيكون .. لا يجدرُ بالمرء بعد ما يصل إلى هذه الحال أن يعودَ إلى النومِ ثانية ، فتوائبَ حوله أشباحُ الخمول والكسل ، فتقطعَ أمامه طريقَ السعي والجدِّ والنشاط ، فيبقى كما هو خاملاً كسلان ، وإذا سعى فلن يكونَ لسعيه أثرٌ أو ثمرة ، أو خيرٌ يُرتجى ..

وهذا نَجحَ المسلمون ، وتسنموا الذرَّة ، ذرَّة المجد والعظمة والكمال ، وامتلكوا ناصية الحياة أعزَّة أقياء ، مع العَدَدِ والعَدَدِ . فما أقوى العزيمة حينما تسعى والقلبُ راضٍ ، والضميرُ مرتاح ، والنفسُ مطمئنة . ١

وإنَّ للنفسِ تعلاتٍ وأوهاما ، إذا اندفعَ الإنسانُ في طريقها ، وانماغَ معها ألقت به في هوة الضعة والذلة ، وحفرة الذُّهول والنسيان ، حيث لا صوت له يرتفع ، ولا رأى له يُسمع ، ولا أمر له يُطاع . وما أسرعَ الشيطان حينذاك يُزيِّنُ له الشر ، ويحسنُ القبيح ، فيجعلُ الحظَّ عمادَ الحياة ، وأنه لا قيمةَ للسعي بجانبِ الحظ ، وكم من إنسانٍ يسعى ويكد ، ويصبرُ ويبالدُ ، ومع هذا فلا يكادُ يجدُ من وراء ذلك ثمرة ،





أو ينال مكرمة من المكارم ، أو خيراً من الخيور . وكم من
كسلان متراكل يواتيه الحظ ، فيسبق الأول ، وينال خيراً ما
يرجو .

وقد تتضخم هذه الأوهام وتتجسم فتصبح عقيدة لا ينفع
معه نقاش ، ولا يفيد نصح ، وهنا تكون الطامة التي لا تبقى
ولا تذر ، فما أسرع شيوع الآراء الخاملة ، التي تغري
بالراحة ، وتدعو إلى الخمول والكسل ، والإنسان في هذه
الحال يتلمس لنفسه المعاذير ، ويتمحل الحيل ، ويستسيغ
الأباطيل كائنة ما كانت ، ما دامت تغذي هذه الناحية من
نواحي النفس ، التي هي أساس الفشل ، وملاك الخيبة
والهزيمة ، والشور .

ويا ويح أمة تسري بين أبنائها هذه الآراء ، إنها والحالة
هذه تندفع إلى طريق القناء اندفاعاً ، لا يدع لها فرصة للتفكير
في مستقبلها ومكانتها بين الأمم ، ولن يكون لها مقعد إلا في
آخر الصفوف ، إن رحمتها الله من فضله ، وقدر لها أن تعيش .



وهكذا مضى هذا الصَّحابيُّ الجليل ، يشنُّ الغارةَ على
الكسلِ ودَعَايِهِ ، حتى سَمَتْ بِهِ الهِمَّةُ ، وقَوِيَ العزمُ .
وجاء إليه أحدُ أصدقائه باسمِ الثَّغرِ ، ضاحكُ السنِّ ،
قائلاً :

- ألم تسمع قولَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في
النَّشاطِ والعزمِ ، والإقبالِ على الحياةِ والعملِ بقلبٍ واثقٍ ،
وفؤادٍ ثابتٍ ؟

قال في دهشةٍ وعجبٍ :

- لا ، لم يكن لي شرفُ الاستماعِ إليه الليلةَ .

- لقد فاتك خيرٌ كثيرٌ .

- إذن فهاتِ حديثهَ ماجوراً مشكوراً .

- لقد قال الليلةَ حادثاً على النشاطِ : « بَاكِرُوا الغُدُوَّ في

طَلَبِ الرِّزْقِ وَالْحَوَائِجِ ، فَإِنَّ الغُدُوَّ بَرَكَةٌ وَنَجَاحٌ » .

وأطرق الصَّحابيُّ الجليلُ عندما استمعَ إلى قولِ الرسولِ

الكَرِيمِ ، يَلْقَاهُ عَلَيْهِ صَدِيقُهُ وَحِيمُهُ ، وكأنَّما قالَ هذا القولَ

فيه دونَ غيره ، وكأنَّه رأى بنورِ الله ما لا يستطيعُ في نفسه

من أفكار وخواطر ، وخوارج وآراء ، وكأنه علم مبلغ ما
قاسى فى هذه السيل من عناء وتعب ، ومشقة وجهد ، فقال
له عبارة سامية ، وحكمة عالية ، أراحت قلبه ، وطمأننت
فؤاده .. وطافت روحه بأفانين فياضة من النور ، واعتزم أن
يباكر الغدو دائما ، وهو ما بين صلاة الصبح إلى طلوع
الشمس ، وأن يسعى فى طلب الرزق ما دام فى هذا البركة
والنجاح .

